ك

حقيبة أمّي العجيبة



قصّة: ليلى عودة
رسومات: علي الزيني

"أُنْظُرْ، أُنْظُرْ كيفَ ستُخرجُ منها رباطًا لِشَعْرِها وضِمادةً لهذا الجُرحِ الّذي على يَدِكَ"... "أها قلتُ لكَ... اطلبْ منها الآنَ أيَّ شيءٍ وستُخرجهُ لكَ". هذا ما قلتُهُ لأخي عبدِ اللهِ الّذي وقفَ مُنْدَهِشًا، بَيْنَما كانت أمّي تُخْرِجُ كلَّ شَيْءٍ نَطْلُبُهُ منها من حَقيبَتِها الكبيرةِ.





"ماما أنا جائعٌ هل أجدُ معكِ شيئًا آكلهُ؟" "طبعاً حبيبي، لحظةٌ".. وأخرجتْ عُلبةَ البَسكوتِ مثلما يُخرجُ السّاحرُ الأرنبَ من القبّعةِ .فتحَ أخي فمهُ مستغربًا وعندما حاولَ أن يقولَ شيئًا وضعتْ أمّي في فمهِ قطعةً من البَسكوتِ. ضحكتُ على المنظرِ وصارَ دوري الآنَ أن أطلبَ من أمّي شيئًا من حقيبتها العجيبةِ.



"أنا أشعرُ بالبردِ يا أمّي" ... لم أُكملْ جملتي وظهرَ جاكيتُ صوفٍ صغيرٌ دافئٌ. "يااااااه ماما لديكِ كلُّ شيءٍ في حقيبتكِ إنّها حقيبةُ العجائبِ!" "نعم حبيبي إنّها حقيبةُ العجائبِ"...ابتسمت أمّي وأكملت قراءةَ كتابِها. فكّرتُ ,"ما هوَ سرُّ حقيبةِ أمّي ؟؟ يجبُ أن أكتشفهُ سريعًا."

انتظرتُ بعضَ الوقتِ لكي تذهبَ إلى غرفتِها وقرّرتُ أن أعرفَ سرَّ حقيبتِها بمساعدةِ أخي الصّغيرِ عبدِ اللهِ... ذهبنا أنا وأخي إلى الحقيبةِ وتفقّدناها عن قربٍ، لم يكنْ بها هذا الشّيءُ الغريبُ أو المختلفُ كانت مثلَها مثلَ أيّةِ حقيبةٍ أخرى.



اقتربنا من فتحتِها لنرى ما بداخِلها وفجأةً, شيءٌ ما جذبَنا إلى الدّاخلِ و.... وووووهووووووو مَزلَقةٌ كما في مدينةِ الملاهي! انزلقنا أنا وأخي إلى أسفلِ الحقيبةِ ويا لروعةِ ما رأينا في طريقِنا، "عمرُ! عمرُ!" انظرْ إلى كلّ هذهِ الأشياءِ!" صرخَ عبدُ اللهِ، ألعابٌ وحلوياتٌ وطعامٌ لذيذٌ و ملابسُ وزجاجاتٌ وعلبٌ وأبوابٌ وممرّاتٌ...



مشينا في ذلكَ المكانِ العجيبِ وكلّما فكّرنا بشيءٍ وجدناهُ أمامَنا. فعندما فكّرتُ بكرةِ القدمِ ظهرت أمامي كرةُ قدمٍ، وعندما فكّرَ أخي بكلبٍ صغيرٍ ظهرَ لهُ كلبٌ وهكذا...



لعبتُ أنا وأخي طويلًا بالكرةِ ومعَ الكلبِ وبألعابٍ لم نكنْ نحلُمُ بها وبعدها شعرنا بالجوعِ فأكلنا أطيبَ الأطعمةِ وشربنا إلى أن ارتوينا وعندما انتهينا شعرنا بالبردِ والتّعب.





مشينا إلى أنْ وصلنا إلى ممرٍّ طويلٍ ملوّنٍ بألوانِ قوسِ قُزَحَ، وفجأةً وجدنا خِزانةً مزركشةً بها بعضُ الملابسِ الدّافئةِ، فارتديناها وأكملنا طريقَنا لنكتشفَ ماذا يوجدُ أيضًا في هذا المكانِ الجميلِ وعندها سمعنا صوتَ حركةٍ خلفَنا.



خافَ أخي واختبأ ورائي، اقتربنا منَ الصّوتِ وإذ هوَ الدّبدوبُ الأبيضُ الموجودُ على علّاقةِ مفاتيحِ أمّي ولكنّهُ لمْ يكنْ صغيراً أبدًا. فقد كانَ كبيراً وكانَ يتكلّمُ معنا بكلّ لطفٍ.



سألتُه: "ماذا تفعلُ هُنا يا دبدوبُ ؟" قالَ: "أنا حارسُ الحقيبةِ وأنا موجودٌ هُنا لكي أعملَ على إبقاءِ الحقيبةِ مليئةً بما تحتاجُهُ أمُّكُما في الأوقاتِ الطّارئةِ، وما تحتاجانِه أنتما في كلِّ الأوقاتِ."



"كما رأيتما إنّهُ عالمٌ جميلٌ وسحريٌّ ولكنّهُ يعتمدُ على أفكارِكما ,فكلّما فكّرتُما بالأشياءِ الجميلةِ وجدتُماها هُنا...، لكن هل تعلمانِ ما هو السّرُّ الحقيقيُّ لهذهِ الحقيبةِ؟ إنّهُ حبُّ أمِّكما لَكما وهو الّذي يَملؤها بكلِّ ما تحبّانِ وتطلبانِ.". شُكْرًا يا دبدوبُ لم نكنْ نعرفُ هذا من قبلُ ."



بدأنا أنا وعبدُ اللهِ نشعرُ بالنُّعاسِ والتّعبِ بعدَ هذهِ المغامرةِ الجميلةِ فسألتُ دبدوبَ : "هل نستطيعُ العودةَ إلى الأعلى؟".
"طبعًا" قال دبدوبُ، ولكن يجبُ أن تقرآ أوّلًا ما كتبتْ أمُّكما خلفَ بطاقاتٍ تحتفظُ بها لكما في هذهِ الحقيبةِ، ومن ثمّ تستطيعانِ الصّعودَ إلى الأعلى... وها هي...



أمسكَ عبدُ اللهِ بطاقتَهُ وقرأ :" حبيبي عبدُ اللهِ، أتمنّى لكَ النّجاحَ والتّوفيقَ في حياتكَ، أنتَ ولدٌ ذكيٌّ وباستطاعتِكَ إنجازَ الكثيرِ، أستطيعُ أن أراكَ مهندسًا أو عالمًا في المستقبلِ. أحبّكَ كثيراً. ماما" أمّا أنا فكانَ مكتوبًا على بطاقتي الآتي :" عمرُ، ولدي الحبيبُ أتمنّى لكَ النّجاحَ والسّعادةَ وأريدُ منكَ أن تهتمَّ بدراستِكَ لأنّني أُريدكَ أن تحقّقَ حُلمكَ بأن تصبحَ كاتبًا مشهورًا ومعروفًا أُحبّكَ وأتمنّى لكَ التّوفيقَ."



حينها قال دبدوبُ :" والآنَ هيّا...أغمضا عينيكما وعدّا إلى ثلاثةٍ... واحدٌ، اِثنانِ، ثلاثةٌ."
فجذبَنا شيءٌ ما إلى الأعلى ووجدنا نفسينا في غرفةِ الجلوسِ حيثُ كانت أمّي تجلسُ على الكنبةِ تكملُ قراءةَ كتابِها.

ركضنا أنا وعبدُ اللهِ إلى أمّي وحضنّاها: "شكرًا يا ماما نحنُ نحبُّكِ كثيراً"
"شكرًا؟" قالت ماما، "هل هناكَ شيءٌ ما يا عمرُ؟"
قلتُ لها:" لن تصدّقي ما سأقولُ لكِ."




النِّهايَةُ